

## خطبة حفي بك ناصف

(رئيس نادي دار العلوم في مسألة التعريب)

أكثر القائلون بتطبيق «سياسة الباب المفتوح» على اللغة العربية من ذكر جهود أمتنا واشتغالها عن الجواهر بالأعراض ووقوفها موقف المستضعفين أمام الأمم الغربية ونسوا علينا تخرجنا قبول النخيل في لغتنا ورمونا «بالرجوع إلى الوراء والنفور من كل جديد والوقوف عند ماأمامه الزمان ومخالفة سنة اللغات الحية صاحبة الحركة الدائمة التي قدروا أهلها أن يتفهموا بكل ماخلفه الله» إلى آخر ماأثروا به من القضايا الخطايا بقصد التأثير في أفكار السامعين «حتى تخيلوا أن الكلام الأعجمية واجبة الاستعمال في اللغة العربية حرصا على الزمن أن يضع في انتقاء ألفاظ عربية تسد مسدها وإن قواعد الاقتصاد السياسي تقضي بصرفه في اختراع آلة حرية أو مهمل صناعي أو مصرف مالي ولقد كدت من شدة التأثير أمسك عن الكلام خيفة أن أضيع عليكم سائمة يمكنكم فيها اختراع بدقية جديدة أو آلة للطيران أو علاج للسرطان

مسكينة الأمة المستضعفة لاندري من أين تأتي ولا تعرف لتأخرها علة

فتذهب مع كل ذاهب وتشمي وراء كل حاطب

ظننا النيل سبب رخاوتنا فمدلنا عنه إلى الآبار فاشتطنا، وقلنا الأزياء

الواسعة مانمتنا عن الحركة فاستبد لنا بها أزياء ضيقة فما عدونا، وحسبنا اقتعاد السيارات والدراجات يوصلنا الى المدينة فاقعدنا وما استقدينا، وزعمنا ملاهي التمثيل، أقرب سبيل، فأبعدتنا، وعددنا الفازج (البالو) معارج فاعرجنا، وغيرنا العائم بالقلائس والدور بالتصوير وظهور الصافيات يبطون العربات فما أخرجنا كل ذلك عما نحن فيه من الاستضاف ولا سبنا الى راقى الالمان، والانكايز واليابان

ان لارتقاع الامم وانحطاطها أسبابا خاض فيها الحكماء وأفاض في بيانها العلماء وليس المقام الآن مقام ذكرها وان المسألة التي نحن بصددنا مسألة نقلية يرجع فيها الى كتب اللغة والادب وليس لاحد ان يأخذ فيها بالهوى أو يسترسل مع الوجدان أو يقتصر فيها على مجرد الاستباحت والاستحصان فكما لا يجوز في التاريخ ان تنكروا غلبة اليابان للروس محتجين بان الصغير لا يظلم الكبير لا يجوز في العربية أن تنصبوا الفاعل وتقدموا خبران على اسمها احتجاجا بأن المعنى لا يتغير ولا ان تقولوا «ما الفرق بيننا وبين العرب الاولى حتى جاز لهم وضع ألقاظ متقضية وتعريب كلمات أعجمية والشذوذ عن القياس وامتنع علينا ايسوار جالا ونحن رجال؟» ليس لاحد ان يقول ذلك الا اذا خرج من الرقعة وخلع المنار ورضي بان يكون طليقا لا يتقيد بشيء. المسألة منصوصة في الاسفار فمن شاء ان يخرق الاجماع ولا يقصر شيئا على السماع ويستريح من عناء الدروس فليصنع ماشا فليس عندنا ما يرغمه على اتباع الجماعة ولا فائدة في الجدل معه واذا شاء ان يتبع النصوص فما هو يانه.

اتفق العلماء على أن اللغة العربية كانت لسان ماد وثمود وأميم وعميل

وطسم وجديس وعمليق وجرم ووبار من أولاد إرم بن سام  
وأول تنقيح دخلها كان يعمل يعرب بن قحطان رأس العرب العاربة  
وجرى أولاده على لفته في أنحاء اليمن كلها ثم تفرق جماعة منهم في نجد  
والحجاز وتهامة والشام والحيرة

ولما أصهر اسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى قبيلة جرم أدخل  
تنقيحا ثانيا في اللغة وجرى على أثره القبائل من أولاده كربيعة ومضر  
وكنانة ونزار وخزاعة وقيس وضبة

والتنقيح الثالث أدخلته قريش بالتدريج اتخاها من لغات قبائل العرب  
التي كانت تفقد عليهم في كل عام وتمكث بين ظهرانيهم نحو خمسين يوما منها  
ثلاثة أيام بسوق ذي المجاز وسبعة بسوق مجنة وثلاثون بسوق عكاظ وعشرة  
في مناسك الحج

والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصريين البصرة والكوفة (نقطة  
اللغة في عصر الأمويين والعباسيين) فقد قصروا اختيارهم على ست قبائل  
من صميم العرب لم تختلط بغيرها وهم قيس عيلان واسد وهذيل وبعض  
تميم وبعض كنانة وبعض طي ولم يأخذوا عن لخم وجذام لمخالطتهم القبط أهل  
مصر، ولا عن قضاة وغسان وأباد لمخالطتهم أهل الشام والروم وأكثرتهم  
نصارى يقرءون بالبرانية، ولا عن تغلب لأنهم كانوا بالجزيرة مجاورين  
لليونان ولا عن بكر لمجاورتهم النبط والفرس ولا عن عبد القيس وأزد  
عماز لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين الهنديين والفرس، ولا عن أهل اليمن  
(حمير وهمدان وخولان والأزد) لمخالطتهم الحبشة والزيج والهنديين ولا  
عن بني حنيفة وسكان اليمامة وثميف والطائف لمخالطتهم تجار اليمن عندهم

ولا عن حاضرة الحجاز وقت نقل اللغة لفساد لغتها بالاختلاط  
وعندرا لغة قريش أفصح اللغات العربية لأنها غالية عن عنفة تميم  
وهي ابدال الهمزة عينا نحو عنت وعنت أي أنت وانك ، وعن تلتجيرا  
وهي كسر أول المضارع نحو تلعب وتلعبو ، وعن كسكة ربيعة ومضر  
وهي إلحاق سين بعد كاف المخاطب رأيتكس ، وعن كشكشة هو وزن  
وهي إلحاق شين بعد كاف المخاطبة نحو رأيتكشن وعن فحفجة هذيل وهي  
قلب الهمزة عينا نحو عنت أي حتى ، وعن وكم ربيعة وهي كسر كاف الخطاب  
بمدالياء الساكنة أو الكسرة نحو عليكم وبكم ، وعن وفهم بني كلب وهي  
كسر هاء التيبة إذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة نحو فهم وبهم  
وعن بصجة قضاة وهي قلب الياء الأخيرة جيا نحو الساجج يدعج أي  
الساعي يدعي وعن وتم أهل اليمن وهو قلب السين المتطرفة تاء نحو  
الثات أي الناس ، وعن الاستنطاء في لغة سعد والازد وقيس وهو قلب  
العين الساكنة نونا قبل الطاء نحو أنطى أي أعطى ، وعن شنشنة اليمن  
وهي قلب الكاف شيئا نحو ليش اللهم ليش ، وعن الخنخانية الشعر  
وعمان وهي حذف الألف في نحو مشاء الله أي ماشاء ، وعن طمطانية حمير وهي  
جعل أل « أم » نحو ، وعن طاب امهواء أي الهواء وعنفة قضاة وهي  
اختفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

ولم ينظر نقله اللغة الى لغة كل قبيلة على حدها بل جموا الاقاط  
التي يتكلم بها كل القبائل التي عولوا على الاخذ عنها وجعلوها لغة واحدة  
مقابل اللغة الاعجمية لا يخطئ التكلم الا اذا خرج عنها كليا فلفظ المدينة  
لغة دوس ( بطن من الازد) ولفظ السكبين لغة قريش فنقل الامة اللغتين

وأباحوا لكل انسان أن يتكلم بأيها شاء ولو لم يوجد في العرب من  
تكلم بهما معا ومن هنا جاء الترادف في اللفظة والاشتراك اللفظي ولو  
جمدوا لغة كل حي من العرب على حدثها لتكرر العمل وطال الزمن  
ثم نظروا بعد ذلك الى المفردات فما كان منها كثير الدوران على السنة  
العرب عدوه غريباً ووحشياً يمتد استعماله بخلا بالفصاحة ولو كان معروفاً  
عند المخاطبين

واستخرجوا من استعمالات العرب قواعد تنطق بأحوال أو اخر  
الكلم وقواعد تتعلق بباقي أحوالها وسموها علم النحو والصرف وجعلوا  
لبعض تلك القواعد قيوداً واستثناءات حتى يكون الاستعمال الكثير  
مضبوطاً بقوانين تحتذى عند القياس وما شذ عن ذلك جعلوه سماعياً يقبل  
من العربي ولا يقبل من المولد

وكانوا شديدي الحرص على بيان السماعي والقياسي فإذا لم يكن اللفظ  
( مادة أو هيئه ) قد سمع من العرب منزهة بتاتا وشنعوا على مستعمله  
ولا جل أن يعرف السامع مقدار عنايتهم بالمسموع من العرب ومقدار  
الأنحطاط الذي كان يلحق بمن يخطئ منهم أروي لك قصة وفود سيديويه  
على يحيى بن خالد البرمكي ببغداد فقد عقد يحيى مجلساً جمع فيه بين سيديويه  
رئيس نخاعة البصرة وبين علي الكسائي رئيس نخاعة الكوفة فقال له الكسائي:  
تسائي أو أسالك؟ فقال سيديويه سل أنت فسأله الكسائي عن قول العرب  
« قد كنت أظن ان العنقرب أشد لسمية من الزنبور فإذا هو هي » أيجوز  
« فإذا هو أيها » فقال - سيديويه لا يجوز النصب فقال الكسائي العرب ترفع  
ذلك وتنصبه فقال يحيى لقد اختلفنا وإنما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما فقال

له الكسائي هذه العرب يابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضر ون  
 ويسألون فقال يحيى وجعفر أنصفت وامرا باحضر أعرايي من أهل  
 البادية وسألوه فقال «القول قول الكسائي» فقال سيديوه ليحيى «مره أن  
 ينطق بذلك فإزلساه لا يطاوعه» فاكتفى المجلس بحكم الاعرايي وخجل  
 سيديوه وسافر بعد ذلك الى فارس فأقام بها حتى مات وكانت هذه المسألة  
 سبب علته وكانت وفاته في سنة ١٨٠ وعمره ٣٢ وهكذا كانت عادة علماء  
 البلدين متى اختلفوا في أمر تلتسوه عند البدو وتسموه منهم

وعرفوا العرب بأنه الاسم الاعجمي الذي فاهت به العرب الموثوق  
 بعريتهم فاذا فاه به غير العربي سمي مولداً وقد تبهم في ذلك كل من  
 كتب في اللغة كأصحاب الصحاح والقاموس والمحكم والمصاب وأجمع  
 العلماء على أن لا يستشهد في اللغة والصرف والنحو الا بكلام العرب ولا  
 يجوز الاستشهاد بكلام المولدين الا في علوم البلاغة

واجازوا استعمال الكلام في غير ما وضعت له متى وجدت مناسبة  
 بين المعنى الاصيل والمعنى المراد وقامت قرينة تمنع ارادة المعنى الاصيل  
 وحصرها تلك المناسبات بالاستقراء وسموها علاقات وهي

المشابهة نحو فاه الخطيب بالدرر أي الكلمات الحسان

والسببية - نحو رعيننا الفيث أي الكلاء

والمسبية - نحو أمطرت السماء نباتا أي ماء

والكناية - نحو «يجملون أصابعهم في آذانهم

والجزئية - نحو بث الامير العيون أي الجواسيس

والعطالية - نحو «ففي رحمة الله هم فيها خالدون» أي الجنة

والمحلية - نحو سال الوادي وجري الميزاب أي مأوه  
واللازمية - كاطلاق الحرارة على النار  
والملزومية نحو دخلت الشمس من الكوة أي ضوءها  
والاطلاق - نحو « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » أي  
لا صلاة كاملة

والتقييد كاطلاق المشفر على شفة الانسان والمشفر البعير كالشفة للانسان  
والمعوم - كاطلاق الابيض والاسمر على السيف والرحم والذابة  
على ذات الاربع

والخصوص - كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو تميم وقريش وربيعه  
والبديلية - نحو في ملك فلان الف دينار أي متاع يساوي الف  
والمبدلية - نحو « أكلت دما ان لم أركب بضره » أي أكلت دية  
واعتبار ما كان - نحو « وآتوا اليتامى أموالهم » أي الذين كانوا يتامى  
واعتبار ما يكون - نحو « أراي أعصر خمرًا » أي عبا  
الدالية - نحو فهمت الكتاب أي معناه

والمدلولية - نحو « قرأت معناه مشفوعا بتقيل » أي قرأت لفظه  
والمجاورة - نحو شربت من الراوية أي المزايدة المجاورة للجمل وقد  
تكون المجاورة في الذكر فقط كما في المشاكلة نحو: اطبخوا لي جبة وقبصا  
والآلية - نحو « واجمل لي لسان صدق » أي ذكراً حسناً صادقاً  
والتماق - كاطلاق لفظ المصدر على الناعل أو المفعول كشاهد

عدل « وهذا خلق الله »

والشرطية - نحو « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أي صلواتكم

والمصدرية - نحو «فرجمو الى أنفسهم» أي آرائهم

والمظهرية - نحو «يد الله فوق أيديهم» أي قدرته

والتضاد - كاطلاق البصير على الاعمي

ومتى اشترى اللفظ في معناه المجازي صار حقيقة عرفية له حكم

الحقيقة الوضعية

وقد صارت اللغة بهذا التقيح الاخير لغة العرب عامة لالغة قبيلة

بمينا فأى لفظ نطقت به فانت مصيب وأي استعمال جريت عليه فاست

بمخطئي ما دمت لم تخرج عن المنقول وأية علاقة صادقتك من العلاقات

السالفة الذكر توصلك الى تسمية مالم تسمه العرب فاست مقيداً بللفظ

أعجمي ولا بلهجة حي معين وصرت بذلك بعيداً عن الخطأ واسع المجال

في النثر والنظم والتقلب في الاساليب الانشائية تصول وتجول وتهم

وتتجد حسبما يسمو اليه استعدادك وتصل اليه درجتك من الاطلاع

وتمكنك منه بضاعتك فلك ان تقول المديّة كما تقول دوس وان تقول

السكين كما تقول قريش وان تنطق كلمة «حيث» بتسع لغات ولفظ «باربي»

يست لغات وتركيب (بادئ بدء) بثمانية عشر وجهاً وان ترفع الخبر

وتنصبه في نحو ما هذا بشراً وان تطلق الاسد على السبع والشجاع والمين

على الباصرة والذهب والياسوس وتصرّح وتعمي حيث تحتاج لذلك

وتنقل الى العربية كل ما فهمته من اللغات الاخرى

وقد وقع جاسوس عربي في يد الهندو فحبسوه والزموه أن يكتب

كتاباً الى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوجهه بقلة عددهم وعددهم

غشا وتفريراً فكتب الى الملك كتاباً قال فيه:

« أما بعد فقد أحطت علما بالقوم ، وأصبحت مستريحا من السعي في تمرف احوالهم ، واني قد استضقتهم بالنسبة اليكم وقد كنت أعهد في أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في المساقبة فقد تحققت انكم الفئة الغالبة بأذن الله ، ولقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك نصحتُ فدع ربك ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى المدون فأرسلوه الى الملك بعدما اطلعوا عليه فتنظن الملك لما أراد الكاتب وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع في الاسر فأصبح مستريحا من السعي وانه رآهم أضافنا وانا قليل بالنسبة لهم اذ لمع بآية « كم من فئة قليلة » ولتني الى الأناة اذ جعلها عادة لي وأراد قلب حروف الجملة الاخيرة فتكون « كاهم عدو كبيرٌ عدو فتحصن »

على هذا استقرت اللغة العربية وتم احكامها وحصرت مفرداتها الاصلية وقوانينها وأبيح استعمال مفرداتها في غير ما وضعت له عند الاحتياج . بشرط العلاقة والقرينة وانتهت أدوار التنقيح فيها فلم يبق الاستظهارها والعمل بها . وقد اغتبطت الامة العربية بذلك وعكفت على العمل بها قرونا قضت فيها لبانة للعلم والسياسة وتمرغت للفتوح والاستعمار وملأت طباق الارض بالتصانيف في الشرائع والحكمة وكل ما كان على وجه الارض من العلوم فأبانت الخافقين ونشرت المدنية في الدنيا . ولما ضعف أمرهم ورثهم الغريبون في حكمتهم وأخذوها عنهم وأضافوا اليها ما تجدد من الصناعات والفتون ولا يزال الافرنج بدأبون في اقتناء الكتب العربية ويستخرجون منها من الفوائد ما لم يكن في حسابنا ولكل مجتهد نصيب

هذا ما حضرني من النصوص المحتوية عليها كتب العرب، المتضافر عليها من أئمة الأدب، فمن شاء فليؤمن بها ومن شاء فليكفر بها فقد تبين الرشد من الغي

ولما قعدت هم الخالفين وانتشر فساد اللغة مادة وتوانين رأى فريق من الناس أن يكفونا مؤنة التحصيل فهبوا إلى فتح ثغور اللغة العربية المدخيل من الالتماظ وطفقوا يحسنون صنيمهم بأقيسة خطائية وجدلية لا تنفي من الحق شيئاً

فقالوا أولاً: إن العرب أخذوا ألقاظاً من الأماجم في أطوار تنقيح العربية واستعملها الفصحاء وورد منها كثير في القرآن والأحاديث فإلنا لا نشيء مذهبا خامسا في التنقيح وفاتهم أن ما أخذوه العرب قليل جداً بالنسبة إلى ما نبذوه ونادر بالإضافة إلى مادة لغتهم الأصلية والقليل النادر لا يقاس عليه فإذا فتحنا اليوم باب القياس في مادة اللغة فتتبعه غداً بالآولى في هيئتها أي في الصرف والنحو فنقيس على ما ورد شذوذاً عن العرب إذ ليست المادة بأقل خطورة من الهيئة ولا الجوهر بأدنى احتراماً من المرض فننصب خبر المبتدا وخبر إن ونشتق من الجوامد كلها ونميل الألف حيثما وجدت ونستخرج من كل فعل ثلاثي مزيدات ونستعمل الزيادة لكل المماثي وبالجملة نجعل عالي اللغة العربية سافها ونحدث فيها الأحداث الهائلة فتبليبل فيها الألسنة وتفقد بمد قليل من الزمن مع أن « أصحاب اللغات الحية » الذين يريدون أن يتشبهوا بهم لم يرضوا أن يتركوا عاداتهم من الكلام والكتابة ولو كانت خطأ فلا يزالون يقولون في ٧٥ ستون وخمسة عشر وفي ٩١ أربع عشرينات وثمانية عشر ولا يزالون

يكتبون جملة حروف في الكلمة لا ينطق بشيء منها ويفوهون بحروف لا يكتب منها شيء

وقالوا ثانيا: انه يجب ان يكون لكل مدلول دال خاص به لا يدل على غيره أبدا وتكون دلالته بنفسه لا بملاقة أخرى وان تسمية المحدثات بلفظ عربي مهما كانت علاقته يوقع في الاشتراك ويزيدنا آلاما الى آلامنا: وغرضهم بذلك منع الاشتراك اللفظي بالمرّة أو عدم زيادته وفاتهم ان الاشتراك اللفظي واقع لا محالة في جميع اللغات لان ألفاظ كل لغة محصورة والمعاني غير محصورة فلو وزعت الألفاظ على المعاني وجب المسير الى الاشتراك حتما وانه لا ضرر من استعماله مع القرينة، ففي الهندسة مثلا تستعمل الزاوية والعمود والسطح والمهرم والكرة والضلع ولا يخطر في البال شيء من معانيها القديمة، وفي الطبيعة والكيمياء تستعمل العدسة والملح والبلورات ولا تحس بأصل معناها، وفي القوانين تستعمل وضع اليد وسحب الورقة وحبس العين والقذف والضبط والربط ولا يجي في الخاطر معناه الاصل والذلي يسمع جملة «سيارة الامير سبقت القطار» لا يتوهم القافلة ولا الجمال فأين هي الآلام التي تخشون من زيادتها؟ ومن منكم يمكنه ان يتكلم كلاما خاليا من المشترك والمجاز؟ انما أراهمكم على كتابة عشرة أسطر بأي لغة شتم في وصف حادثة من الحوادث ذات البال فمن قدر على اخلائها من المجاز والمشارك فله مني عشرة دنانير وأمرتكم شهرا. والحقيقة ان هذه الآلام آلام وهمية توجد عند ما يريد أن يتألم منها

وقالوا ثالثا: ان دلالة الكلام الاعمى اصح لانها تدل على صنف

مخصوص بخلاف الكلام العربي فانها في الغالب تكون عامة: وفاتهم ان

الاصطلاح يجعل العام خاصا والمطلق مقيدا فالنسافة والبارجة والدارعة والمنطاد لاعموم فيها بعد الاصطلاح عليها وغلبة الاسمية على الوصفية معروفة في اللغات قديما وحديثا فيقولون في السيف أبيض ومرهف وهندي وعاني وفي الرمح أسمر ولدن وسهري ووردي وكلها أوصاف غلبت عليها الاسمية

وقالوا وايضا : ان التعريب أسهل من انتقاء اللفظ العربي واستعمال الاعجمي أخف على السمع فاذا قلت للبدال « أعطني قدحا من الجمعة » اشأز منك وسخر السامعون بخلاف « اليرا » : وفاتهم أن هذه الصعوبة تزول بعد الاهتداء الى الكلمة العربية والاصطلاح عليها والالحاح في استعمالها لنظا وكتابة على أن هذه الصعوبة انما تكون على الاشخاص المكلفين باستخراج الكلم بخلاف الذين يتعلمونها جديدا فافهم بجدونها بدون عناء كالذي يلبس الثوب لا يحس ببناء حائكه وخائطه وقارىء الصحيفة لا يحس ببناء محررها وجامع حروفها وطابعها ، ولا بدمن قوم يعانون الاعمال وآخرون ينتفعون بها ونحن لانكاف أفراد الامة بالاشتغال منها في انتقاء اللفاظ بل يكفي ان يتب منا فريق في هذا الامر مقابل تب الآخرين في أعمال اخرى على قاعدة التبادل المدني أما استهزاء العامة فلا يموقنا عن العمل لانا لانعمل لهم بل للخاصة والنشء الجديد الذين يتعلمون في المدارس ، وخالي الذهن يحفظ ما يلقى اليه سواء كان اللفظ الذي يحفظه عربيا أو أعجميا ، واني اذكر كم انا كنا نستعمل كلمة قومسيون وقوميتيه وجرنال وغازيته وأفوكاتو وكوليرا وواور وتفصل جنرال ولما ابتداء الصحافيون يغيرونها بلجنة وصحيفة ومحام

ووباء وقطار وممتمد كنا نقززها فلما ألحوا في استعمالها زال التقزز شيئا فشيئا حتى عفا الكلمات الأولى فجازاهم الله عن العربية خيرا . فلم لا يعمل المحدثون من الصحافيين مثل ما عمل الاقدمون؟ ولماذا لا يحذو مترجمو اليوم حذو مترجمي أمس؟ ولم لا يساعد هؤلاء وهؤلاء على اداء ذلك الواجب؟

وقالوا خامسا: ليس لنا أن تمسك بالقديم لمجرد قدمه: فنقول لهم وليس لنا أن ننبذ القديم لمجرد قدمه فما كل قديم ينبذ ولا كل جديد يؤخذ والواجب على من رأى المصلحة في القديم أن لا يتركه ما لم تقم الأدلة على أصلحية الجديد وقد جربنا القديم مئات من السنين فقام بالكفاية ولم نر للآن منفعة في الانفاط الجديدة بل الضرر محقق لانا لو فتحنا الباب لدخول الجديد لاستعجم على الخالفين فيهم كل المؤلفات منذ الف سنة الى الآن وانقطع الاتصال بين السابق واللاحق وضاع على المتأخرين زرات اسلافهم المتقدمين

ويعد قاضي لم أفهم للآن وجه التثبيت بحب الاعجمي فاما أن نكون مصابين بمرض الشعوبية وهو تفضيل المعجم على العرب واما أن نكون لاستضعافنا مقلدين الغالب كما قال ابن خلدون ، واما ان يكون في طبائنا اخلاذ الى الراحة والسكون فلا نريد أن نعاني أعمالا جديدة لم تعودها فتخذنا هذه الطبائع الى تحسين ما نحن عليه ونقول بالتعريب لانا يمكننا أن نمر ب كل يوم الف كلمة ولا نجد في الشهر عشرين كلمة عربية فيقر كل منا أن ما وصل اليه هو منتهى الكمال وأن ما يزيد عن ذلك بحسب من التقر والتفريق ولا يريد ان يعترف بكمال بعد الحد الذي وقف عنده فيسجل

على نفسه النقص ، ان لم يكن هذا ولا ذلك فما سبب هذا التثبيث بأرى؟  
لقد وعيت كل ما سبق من الادلة فلم أجد فيها برهانا ففعل جمود قريحتي  
ضرب بني وبين الحقيقة حجبا مستورا

وقد نشأ من التساهل في حياة اللسان العربي أن تطرق الفساد الى مادته  
وهيئته وتولد عنه لسان آخر لاهو بالعربي ولا هو بالاعجمي وسماه الناس  
باللغة العامية أو الدارجة وهو المستعمل لهذا العهد في مصر والشام والعراق  
وجزيرة العرب والمغرب والسودان لا يتكلمون بغيره وان كانوا  
لا يزالون يكتبون بالعربية الفصحى او ما يقرب منها

ونرى الطفل يتعلم العامية في أقل من خمس سنين ولا يتعلم الفصحى في أقل  
من عشر والسبب في ذلك ظاهر وهو انه في أول أمره لا يسمع غير  
العامية ولا يتكلم بغيرها فهو أبنا سار وحيثما ذهب مشتغل بها فترسخ في  
ذهنه رسوخ الفرنسية في أذهان أطفال الفرنسيين والانكليزية في  
أذهان أطفال الانكليز وليس الحال كذلك في ابان تعلم لغة الكتابة  
ولو فرضنا صبيا نشأ في بلد يتكلم أهله بالعربية الفصحى بالسليقة وبعد  
سن مخصوص يتعلمون العامية ويستعملونها في الكتابة فقط لانعكس  
معه الحال وتعلم العامية في أقل من عشر ، فليس من طبيعة اللسان العربي  
الصحيح شي من الصعوبة وانما هي طريقة التلقين وبيئة التعليم

وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستتهد خمس عشرة سنة  
كان ينبغي عنها خمس لو اقتصر المعلم على احدها ووضع على كل متعلم  
عشر سنين من عمره فاذا تحققت الآمال وصار التعليم اجباريا فكم تخسر  
الامة كل سنة من أعمار افرادها ؟ فاذا أخذنا المعدل السنوي للمواليد وهو

٧٠٠٠٠٠ وطرح خامنه معدل وفيات الاطفال الى سن العشرة ( ونفرض أنه النصف ) ٢٣٥٠٠٠٠ يكون عدد البائين ٢٣٥٠٠٠٠ نضربه في عشرة أعوام وهي مقدار ما يخسر كل واحد فتكون النتيجة ان الأمة تخسر في كل عام عمل شخص واحد في ٢٣٥٠٠٠٠ سنة وبمباراة أخرى يفوتها وبعج زراعة ٢٧٥٠٠٠٠ ر فدان على فرض ان الفدان يزرعه اثنان وهي خسارة لا يحسن السكوت عليها فياضيمة الاعمار تمشي سهلاً \*

وقد استنكر الصبر على هذه الخسارة جماعة من الاقتصاديين فاتفقوا على وجوب الاقتصار على تعلم احدي اللغتين واختلفوا في تعيينها فقال فريق منهم يقتصر على العامية ومنهم المهندس الشير ويلككس والقاضي الكبير ويلمور . وقال الفريق الآخر ومنهم العالم الشهير والمربي الكبير يعقوب أرئين ( باشا ) بالاقتصار على الفصحى

واورد على الاول ( ١ ) ان لكل قطر عامية مخصوصة بل لكل مديرية لهجة معينة فاذا رجحنا لغة اقليم تحكما منا نكون قد ازمنا سكان الاقاليم الاخرى بتعليم لغة ذلك الاقليم وعناؤهم في ذلك لا ينقص عن عناء تعلم العربية الفصحى بل الفصحى أسهل لان كل شيء فيها قد ضبط وتصح ووضعت له كتب متعددة ( ٢ ) وان العامية في البلد الواحد تتبدل بتبدل المصور فلذلك زمان الفاظ تدخل مع أصحاب القوة ولذلك ترى في لغة مصر مفردات من الرومية والكردية والتركية والشركية والفرنسية والانكليزية ( ٣ ) وان التزام العامية يحدث حجابا كئيفا دون الاستنباط من القرآن والحديث والمأثور من كلام السلف فتذهب أعمال الاولين هباء وتقع الخسارة على المسلمين وغيرهم ممن يستخرجون كنوز العلوم من

يطون الكتب العربية القديمة ولولا كتب العرب ما أشرق على أوربا ذلك النور الساطع وبالجملة تنقطع الصلة بين الأزمنة والامكنة العربية ويحرم ابن هذا الزمان من ثمار أفكار السابقين وقاطن هذا المكان من تبادل آراء المعاصرين من أبناء اللغة الواحدة فلا جرم كان من المتعين نبذ الرأي الويليكسي والاختذ بالمذهب الارتيني

وخلاصة هذا المذهب أن تترك العامة يتكلمون بما يريدون وتدرّب التلاميذ في المدارس على التكلم بالفصحى ويجب اليوم التمازج بها كلما اجتمع لفيف منهم حتى ترسخ فيهم ملكتها وتملك ألسنتهم دورتها ويكون أخدم بالتمرين تدريجياً يطبقون على ما عرفوه ويكملون محاورتهم بالعامة فيما لم يعرفوه وكلما زادت درجتهم في التعليم زادت قوتهم في التطبيق إلى أن تهجر العامة وتحل الفصحى محلها

فإذا ضم إلى ذلك مطالعة الصحف والمجلات العربية وسماع الخطب العلمية في النوادي العربية والتردد على معاهد اللغات ومشاهد التمثيلات ومواقف المرافعات وتعليم الفتيات واحتذاء أساليب المنشئين وطبع كتب المبرزين فإن اللغة العامة تنقرض في أقل من عشرين عاماً وتختفي اللغة الصحيحة ويرجع اللسان العربي إلى عصر مجده وأيام سمده

ولقد هم ذلك المربي الكبير منذ عشرين سنة بالزام تلاميذ المدارس بالتكلم بالعربية الفصحى ما داموا تحت نظر معلميهم وأخذ يهد هذا الأمر عدته وعتاده وسأني رأبي في ذلك وكنت معلماً في مدرسة الحقوق فقلت له إن الأمر ميسور والخطب سهل فطلب إلي تجربة ذلك قبل أن يصدر الأوامر فقلت نعم وكرامة ولم يمض شهر حتى دعوته لشهود التجربة مع

من شاه من المنتشين فأسفرت التجربة عن نجاح باهر وارتقاء ظاهر  
فصمم على امضاء عزمته لولا احتجاج فريق من المعلمين، بل نفر من  
العاجزين، بأن التطبيق متمدر قبل حفظ اللغة واتمام القواعد ولولا التوكؤ  
على هذه المغالطة لكانت العامية الآن، في خبر كاد ان لم تكن في خبر كان،  
والذي يسم كلام الباحثين الاصاين والمنتصرين لها يخال ان بين  
الفريقين حربا عوانا وخلافا ما يمدده اتفاق . ومنشأ هذا الاقتراق الذي  
حي وطيبه واحتدم أوراه ان أدلة الفريق الاول تنتج أكثر من المدعى  
ويجبر التسليم بها الى اذهاب اللغة العربية والاتيان بخلق جديد ولولا ذلك  
لكان الخلاف نظريا لا يترتب عليه أثر ويتضح ذلك اذا حددنا موضع  
النزاع وحصرناه في الدائرة التي يجب حصره فيها، واحسن طريق  
للتحديد سرد مواطن الوفاق حتى تحامها اذا التقي الجمعان واليكم البيان  
(١) تقسم أولا اللغة العربية الى لغتين لغة عامية ولغة فصحي  
فالعامية لا يمكن أن تكون محل نزاع لان الباحث الاول يقول بصقل  
اللفظ الاعجمي ووضعه في القوالب العربية والثاني يقول بعدم الخروج  
عما ورد فحل النزاع اذا اللغة الفصحى

(٢) ثم تقسم اللغة الفصحى الى اجزائها حرف وفعل واسم فالحرف  
لا يمكن أن يكون محل النزاع لان ما وجد منه كاف واف بحاجة اللغة فلا  
ضرورة لزيادة نحو «يس» و«نو» و«آند» لوجود نعم ولا وحرف العطف  
والفعل كذلك غير محتاج للمزيد فلا باعث لزيادة نحو «جون» و«كم»  
لوجود ما يماثلها في العربية وقد وقع في كلام الباحث الاول<sup>(١)</sup> ما يفهم منه

رغبته في زيادة أفعال تشتق من الاسماء الاعجمية كأترم وتبسل وأمبس ولعل ذلك فرط منه أثناء احتدام الجدل والافواقه تفضيل الاعجمي على العربي ولم يقل أحد بجواز أنفل وأحمر وأفرس والبفل والجمار والفرس أعرق في العربية من الترام اللهم الا أن يكون وجه التفضيل شدة الدرعة وعندنا قاعدة مذهبة بنبي عليها وهي أنه لا يصار الى التعريب الا اذا ألجأت الحاجة اليه ولا حاجة الى اترم كما لا حاجة الى أنفل لا مكان التعبير بركب الترام لو سلمنا بقبول كلمة ترام ففعل النزاع اذا الاسم

(٣) ثم نقسم الاسم الى ما ينوب عن الفعل كشتان ووي وصه والى ما لا ينوب عن الفعل والاول كالفعل لا حاجة الى الزيادة فيه ففعل النزاع اذا الثاني

(٤) ثم نقسم ما لا ينوب عن الفعل الى مشتق وجامد فالمشتقات في العربية كافية وهي أصرح من نظائرها في اللغات الاخرى فالنزاع في الجامد (٥) ثم نقسم الجامد الى اسم معنى واسم ذات فاسماء المعاني كثيرة جداً

في العربية حتى عدها الباحث الاول ثروة واسعة فالنزاع في اسم الذات (٦) ثم نقسم اسم الذات الى ما وضع لمعين بلا واسطة وهو العلم والى ما وضع لمعين بواسطة ملازمة وهو الضمير واسم الاشارة والاسم

الموصول والى ما وضع لنير معين وهو اسم الجنس فالعلم يشمل أسامي الاناسي والبلاد والجبال والانهار والبحار والامم والاقاليم وماله شأن خاص من غيرها، والاتفاق على انها لا تخص لغة معينة الا باعتبار معناها الاصلي قبل العلمية وانها تبقى على ما وضع لها واضعها الا لضرورة والضرورة اما أن تكون بوجود حروف أعجمية

لا نظير لها في العربية كالحرف الذي بين الباء والقاف والحرف الذي بين القاف والواو والحرف الذي بين الجيم والقاف والكاف والظن وبعبارة أخرى كجيم القاهرة أو قاف الصعيد وهي قاف تيم والحرف الذي بين الجيم العربية والياء وبعبارة أخرى كجيم المقاربة والحرف الالماني الذي بين الخاء والشين فيبدل الحرف الاعجمي بحرف يقاربه

واما أن تكون بوجود حر كات أعجمية لا نظير لها في العربية كالحركة التي بين الفتحة والضمة كما تقول أهل القاهرة خوخ والحركة التي بين الضمة والكسرة عند الفرنسيين فتبدل بحركة عربية تقاربها أما الحركة التي بين الفتحة والكسرة فلها نظير في العربية في لغة نجد وقيس وأسد كما تسمع من القراء فتبقى كما هي أو تبدل بفتحة خالصة والمدبندها بألف خالصة

واما باشتمال العلم على ما لا يتميزه أصول العربية كالأبتداء بساكن وكالاتهاء بواو ساكنة قبلها ضمة وكالاتهاء بواو أو ياء بعد حرف مد فيحرك الساكن أو يتوصل اليه بهمزة وصل ويحرك احد الساكنين وتقلب الواو الساكنة ياء والضمة قبلها كسرة أو تحذف وتقلب الواو أو الياء المتطرفة بعد مدة همزة وهذا التغير هو الذي يسمى صقلا أو وضما في القوالب العربية فالعلم موضع اتفاق بين الباحثين أيضاً

والضمائر واسماء الاشارات والاسماء الموصولة كافية بل فيها زيادة عن نظائرها في اللغات الاخرى فلا حاجة للزيادة فيها وإنما النزاع في اسم الجنس كما مرح الباحث الاول مرارا

(٧) ثم تقسم اسم الجنس الي ما استعملت له العرب لفظا سواء

وضعت له من عندها أو عربته من لغة غيرها وإلى ما لم تستعمل له لفظا  
والأول يقبل ولا ينظر إلى أصل اللفظ قبل التعريب لأن التعريب جملة  
في حكم العربي فليس موضع نزاع والنزاع فيما لم تستعمل له العرب لفظا  
(٨) ثم قسم ما لم تستعمل له العرب لفظا إلى ما اصطاح المولدون  
على إطلاق لفظ عربي عليه بأي مناسبة كانت كسافة وغواصة ودارعة  
وقطار ولا خلاف بين الباحثين في قبوله ، وإلى ما لم يصطلحوا على إطلاق  
لفظ عليه الآن ولا خلاف بين الباحثين في أنه يجب البحث والتنقيب في  
كتب اللغة عن لفظ عربي يمكن إطلاقه عليه بأي مناسبة من المناسبات  
الجازية في اللغة العربية ويصطلح على دلالة عليه كما اصطاح من قبلنا على  
لفظ سافة وغواصة

ولم يقل أحد منهما بتعطيل حركات الخطابة والكتابة ودواوين الأنشاء  
وصحف الأخبار في مدة البحث والتنقيب بل لا بد من ملء الفراغ بلفظ  
أعجمي واستعماله موقفا للضرورة كما يفعل الطالب الذي ينتقل بالتعليم تدريجا  
من لغة الباطنة إلى اللغة الفصحى

فإذا أنتفى دور البحث ولم يثر على كلمة عربية يمكن الاصطلاح عليها  
وهو ما لا يكون إلا نادرا تصقل الكلمة وتستعمل وحينئذ يراها الباحث  
الأول بالمنظار الذي يرى به المعربات التي صفتها العرب ويقول قد احتطت  
وما فرطت فرحبا بالدخيل المشيد ، وبعدا للأصيل الشريد ، ومالي أشغل  
أمالي بنشد ضالة إن جاءت فلا كرامة ، وإن ذهبت فلا شيمتها غمامة ،  
ويراها الباحث الثاني بمنظار آخر غير ما يرى به المعربات فيحسبها كالرقعة

في الثوب والحصاة بين الدر ويقول للضرورة أحكام ، وجبذا لو صحت الاحلام ، ووجدت طلبتي في يوم من الايام ،  
 هذا هو الخلاف الطويل المريض ضيق البحث حلقاه رويداً حتى  
 تضاد وانتهى الى تقدير النظر الى الكلمة المحتملة واستقبالها اما بالترحيب ،  
 واما بالتمطيب ، وهو خلاف غريب ،  
 حفي ناصف



## باب المناظرة والمراسلة

### السنن والاحاديث النبوية

جاءتنا هذه الرسالة من الشيخ صالح بن علي الياضي أحد العلماء الفيورين  
 في حيدرآباد الذي يرد فيها على الدكتور محمد توفيق افندي صدقي فيما كتبه في  
 النسخ وكون الاحاديث ليست من أصول الدين ولطولها ننشرها بالتدريج مبتدئين  
 بمقدمتها التمهيدية وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل محمداً بالهدى ودين الحق ، وجعل له لسان الصدق ،  
 صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ، ومتبعيه وأنصاره واحزابه ،  
 أما بعد فاني قد وقفت على رسائل حفزة العالم الباحث الدكتور  
 محمد توفيق افندي صدقي كان يرمي فيها أولاً الى أن الاسلام بعد وفاة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القرآن مجرداً عن بيان الرسول ( ص )  
 وتعاليمه غير معتبر لما زاده الله على ما في القرآن من أحكامه ولازم قوله  
 بل صراحتة دالة على نحو صورة الاسلام الموجودة وجواز تشكيله .